السبت 21/7/2012 4/رمضان/1433 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

الأربعون النووية

إنما الأعمال بالنيات

نقرأ في هذا الشهر أحاديث الإمام النووي الذي جمعها في كتاب وكتب الله تعالى لها القبول بين علماء المسلمين وهي التي تسمى **الأربعون النووية**.

جمع فيها الإمام النووي رضي الله عنه اثنان وأربعين حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، أخذ بعضها من المحدث الفقيه ابن الصلاح وأضاف عليها شيئاً فاقتربت من أربعين حديثاً.

لا زالت هذه الأحاديث منتشرة في أقاصي الأرض ومغاربها يدرسها طلاب العلم الشرعي والعلماء وتُدَرَّسُ في المساجد وهو ما سنشرحه في هذه الدروس.

عن أميرِ المؤمنينَ أبي حفصٍ عمرَ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: ((**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنيًا يُصِيبُهَا أَو امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**)) [البخاري ومسلم].

هذا الحديث من أصح الأحاديث؛ لأن من رواه هما الإمام البخاري ومسلم، وقد قال العلماء فيه: هذا الحديث من أحد الأحاديث الذي يدور عليها الإسلام.

قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: **الإسلام يدور على أحاديث ثلاثة: أولها:(إنما الأعمال بالنيات)، والثاني: (الحلال بين والحرام بيّن)، والثالث: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد).**

يقول الإمام أبو داود صاحب كتاب السنن: (**كتبت خمسمائة ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واخترت لكم في كتابي هذا أربعمائة ألف حديث، ويكفي المسلم منها أربعة**

أحاديث: أولها: إنما الأعمال بالنيات، والثاني: من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه والثالث: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، والرابع: الحلال بين والحرام بين).

((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ)).

هذا الحديث افتُتِحَ به عدد من كتب الأئمة الأعلام ليقولوا لقارئ هذا الكتاب: إذا كنت تريد أن تعمل عملاً فصحح نيتك.

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ))** [الإمام أحمد وابن ماجه].

عَنْ كَعْبِ بنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :**مرَّ رَجُلٌ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وسَلَّمَ فرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه و سَلَّمَ مِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ، فَقَالُوا: يا رَسُولَ اللهِ لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه و سَلَّمَ: ((إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِيْ سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أبوين شَيْخَيْنِ كَبِيرِينِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِه يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنَّ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ)).**

[الطبراني في الكبير]

فالسعي واحد لكن النية مختلفة، فإذا نوى أن يخدم العباد تقرباً إلى الله أو أن يخدم والديه أو أولاده تقرباً إلى الله فهذا مجاهد في سبيل الله.

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً وَيُقَاتِلُ رِيَاءً فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: ((مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))**، [البخاري].

حمية: يحتمي لقومه.

شجاعة: يحب القتال.

رياء: ليقول الناس أنه بطل.

فكلهم قاتلوا لكن اختلفت النوايا فأحدهم كان مأجوراً والآخر كان موزوراً؛ لذلك طلب العلماء من المؤمن أن يصحح نيته في كل حركة، وما زال الصالحون يهتمون كثيراً في قلوبهم.

أحدهم يبني مسجداً ونيته ستر عيوبه، أو أن يعلن للناس أنه بنى مسجداً يريد منهم شيئاً، أو يكون تقرباً إلى الله.

أحدهم يحضر براد ماء إلى المسجد له نية التقرب إلى الله وسقي الناس، أو أن يكتب اسمه ليعلم أهل الحي أنه متبرع أو متصدق؛ لذلك كان الصالحون يهتمون بنواياهم.

ذهب أحد الصالحين مع أخ له لزيارة مريض فلما وصلا إليه وأرادا قرع الباب قال له: رويدك حتى أستحضر نيتي.

فمن الممكن أن تكون الزيارة بنية مصلحة أو بنية أ، يتزوج ابنته.

ومنهم من يقول أريد أن أطبق ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ))، قِيلَ: مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتْبَعْهُ)).**

[مسلم والإمام أحمد]

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **((مَنْ عَادَ مَرِيضًا مَشَى فِي خِرَافِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا جَلَسَ عِنْدَهُ اسْتَنْقَعَ فِي الرَّحْمَةِ، فَإِذَا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَكَّلَ اللهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ، وَيَحْفَظُونَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ))** [البيهقي].

فكل منا يأخذ ما نوى، الذي نوى قضاء حاجته من زواج أو مجرد زيارة أخذ ما نوى ومن نوى أن يخوض في الرحمة أخذ ما نوى.

قد يضرب أحدهم يتيماً أو يعاقبه عقوبة ونيته أن يؤدبه؛ لأنه تجاوز حدود الأدب، وآخر يضرب اليتيم قهراً يقول: إن والده أساء إلي في حياته فسأنتقم الآن من ابنه. فالأول ضرب تأديباً فهو مأجور، والثاني ضرب انتقاماً فهو في وزر.

جعل الصالحون أول آداب السالك لله تعالى تصحيح النية.

قال الأصمعي: حاصر مسلمة بن عبد الملك حصناً، فأصابهم فيه جهد عظيم، فندب الناس إلى نقب منه، فما دخله أحد، فجاء رجل من الجند فدخله، ففتح الله عليهم، فنادى مسلمة: أين صاحب الثقب؟ فما وجد أحد، حتى نادى مرتين أو ثلاثاً أو أربعاً. فجاء في الرابعة رجل فقال: أنا أيها الأمير صاحب النقب، آخذ عهوداً ومواثيقاً ثلاثاً؛ لا تسودوا اسمي في صحيفة، ولا تأمروا لي بشيء، ولا

تشغلوني عن أمري. قال: فقال مسلمة: قد فعلنا ذلك بك. قال: فغاب بعد ذلك فلم ير؛ فكان مسلمة بعد ذلك يقول في دبر صلاته: اللهم اجعلني مع صاحب النقب.

[مختصر تاريخ دمشق لابن منظور]

فالناس الذين يساعدون إخوانهم المتضررين أقول لهم: من أعان الناس فعليه بتصحيح نيته؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ)).

((وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نوَى)).

اثنان في المسجد يصليان أمام بعضهما البعض فالأول نوى صلاة سنة الفجر، والآخر نوى صلاة ركعتين قضاء ما فات فلكل منهما ما نوى.

قال الإمام الشافعي: (**النية تدخل في سبعين باباً من أبواب الفقه**).

فالصوم لا يصح إلا بنية، والنية محلها القلب لكن الأفضل أن تتلفظ بها.

لو أن إنساناً في خارج رمضان سهر طوال الليل وفي الساعة الرابعة نام ولم يستيقظ حتى الساعة الثامنة مساء ففي هذه الحالة يكون قد امتنع عن الطعام والشراب من الفجر إلى المغرب فهل له أن يقول عند الطعام: اللهم لك صمت وبك آمنت وعليك توكلت وعلى رزقك أفطرت... هل صح صيامه؟ الجواب: لا.. لأنه لم ينو، ولو أنه نوى قبل نومه الصيام لصح صيامه ولكنه بالمقابل مخطئ لأنه فوَّت الصلوات.

الزكاة تحتاج إلى نية؛ فلو أن إنساناً أقرض إنساناً ديناً، على أن يردها بعد ستة أشهر فلما مضت الستة أشهر ولم يعطه دينه، قال: يا رب اجعلها زكاة مالي، فلا تصح هذه الزكاة؛ لأنه عندما أعطاه إياها كانت نيته الدين وليس الزكاة، لكن لو أنني أعطيته المال وبيني وبين نفسي قلت: يا رب هذه زكاة مالي لحُسبت زكاة.

فكثير من أمور الطاعات والعبادات تحتاج إلى نية بل إن العادات تتحول إلى عبادات بالنية.

شخص جلس إلى الطعام قال: نويت التقوي على طاعة الله، كتب طعامه عبادة، وآخر جالس على نفس المائدة فنوى الطعام من أجل تكبير عضلاته؛ لأن المدرب طلب منه زيادة الطعام لمزيد من البروتين لتبقى عضلاته قوية فعمله هذا عادة، والآخر عمله عبادة مع أن الاثنين جالسين على نفس المائدة.

إنسان نام ونوى بنومه التقوي على الطاعة ليجدد نشاطه، وإنسان نام نوماً عادياً فكلاهما ناما لكن أحدهم أُجر على نومه والثاني لم يأخذ أجراً.

قال داود الطائي: (**رأيت الخير كله يجمعه حسن النية**).

إنسان يخدم زوجته وأولاده وفي نيته يقول: يا رب هؤلاء عبادك وأنا أخدمهم تقرباً إليك في كل حركة وكل سكنه، فهذا مأجور مبرور، وإنسان آخر يعمل من الصباح إلى المساء من أجل أن يأتي لأولاده بالطعام والشراب لكن لا توجد له نية يقول: يا أخي بلاء وابتليناها، فكلاهما عمل نفس العمل لكن أحدهم نوى التقرب إلى الله والآخر ما نوى شيئاً.

اجتهدوا أن تصححوا نواياكم وأن تعظموا وتصحبوا نواياكم.

أحياناً تجلس في الدرس بنية أن تنتظر صديقك لتتكلم معه بموضوع، فاستصحب النية بأنك جالس في درس علم.

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**)) [أبو داود].

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**)) [أبو داود].

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28].

((**فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ**)).

أنت تعلم أن الصحابة هاجروا من مكة إلى المدينة فتركوا بيوتهم وأموالهم ومتعاهم وأعمالهم فمن كان مهاجراً ينوي ويريد رضا الله ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ((**فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ**)) فالله يكتب له الأجر الكامل والنبي سيدعو له الدعاء الكبير.

والنوع الثاني ((**وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا**))، له تجارة يقول لك السفر جيد يأتي بمردود مادي.

((أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)).

ذكروا بأن رجلاً أراد أن يتزوج امرأة اسمها أم قيس فطلبها إلى نفسه فقالت: لا أرضى أن أزوجك نفسي حتى تهاجر وهاجرت هي فلحقها فكان يسمى مهاجر أم قيس.

كان بعض العارفين يقول: (**إنما تفاضلوا بالإرادات ولم يتفاضلوا بالصوم والصلاة**).

فالصالحون تميزوا عن بعضهم بما في قلوبهم ونواياهم، وبالصوم والصلاة النافلة.

يقول عبد الله بن مبارك: (**رب عملٍ صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية**).

ومما يجعل نوايا المرء صحيحة أمران اثنان:

الأول: الإكثار من ذكر الله: لأن الذكر يجعل كل عمل تعمله موصل بحضرة الله عز وجل.

الثاني: طلب العلم: لأنك إذا علمت وحضرت في مجالس العلم تعلمت تصحيح النية وتذكرتها.

.

والحمد لله رب العالمين